

الأدب في العراق

كلمة شخصية أولى

للأديب السيد عبد الوهاب الأمين

— ١ —

—>>>><<<<—

الأدب بعد الحرب

هل الأدب ضرورة؟

ليس من شك في أن الأدب ضرورة

وهو ضرورة لا تشبه غيرها من ضرورات الحياة الكبرى، لأنها ضرورة شديدة الشبه بالحياة نفسها كما تقدم، وذلك لأنها حياة أخرى من دون لحم ودم. أو هي الحياة نفسها مخلدة على الورق، وفي بطون الكتب. وليس المقام مقام تعجيد للأدب ومغالته في الحياة، وإنما هو مقام تعريف بقدره ومكانته بوجه عام، وما دمتنا نريد لحياتنا العامة تقدماً واضطراباً. فأحرى بنا أن نوجه أنظارنا لتعرف آثار هذه النهضة المقبلة وما يجب أن يسبقها من البعث الأدبي

نظرتنا إلى الأدب ونشأها

لذلك ينبغي أن نغير نظرتنا إلى الأدب، تلك النظرة السطحية التي تعودنا منذ عشرات السنين أن ننظرها إلى المحصول الأدبي وإلى أشخاص الأدباء، سواء الأحياء منهم والأموات. يجب أن نفهم أن الأدب ليس ترجمة الفراغ، أو سمر الماطل، أو مناداة الميسور، أو ما يدخل في أمثال هذه الماني مما درجنا على اعتقاده، فالأدب كما يفهم غيرنا قوة فعالة في الحياة اليومية والحياة العامة بصرف النظر عن مفهومه ودلالته

إن هناك خطراً عظيماً الأثر ستعرض له، إذا استمرت نظرتنا إلى الأدب على ما هي عليه الآن من السطحية وقلة الشأن من جهة، ومن الخطأ الشائع في مفهومه وإدراكه من جهة أخرى. فالأدب في نظر الأكثرين منا هو الشخص الذي يمشي على هامش الحياة ولا يقيم وزناً لخارجياتها ومادياتها، ولا يسأل عما يقول أو يفعل، ويكفي أن يوصف الإنسان «بالأديب»

دعى القرن العشرون قرن المدنية والنور؛ ولقد كانت مفاخر المصور السابقة من طراز آخر غير المدنية وغير النور، ففهوم «المدنية» لا زال مقروناً بالحرب والدمار، ولا يزال النور مقصوراً على الماديات دون المنويات. وقد قامت بعد الحرب المظلمة هيبة ساخنة أبقت جميع الشعوب، كان قوامها نهضة أدبية شاملة، لا تزال بقايا منها محتفظة بفعالية ظاهرة. وهما نحن أولاء نرى في كل يوم دليلاً جديداً على هذه النهضة الأدبية الكبرى، فيما تستيق إليه المطابع العربية من نشر مؤلفات جديدة لشخصيات أدبية عالية من طراز لم نعهد البشرية قبل الحرب المظلمة؛ فكان من الطبيعي أن يثار التسأل عن هذا الأدب وهذه النهضة الأدبية، وما محمولها وقوامها وجدواها؟ وهل الأدب هو زيج الإنسان به ساعات فراغه ليعتصم به من مفاصد الفراغ كما يقول الشاعر؟ أو هو ضرورة من ضرورات الحياة المدنية ودلالة على الحياة المعنوية المكتملة؟

إن كانت الحياة لهواً فالأدب كالحياة لهو لا مفر منه، وإن كان يفوقها بأنه لهو له جدواه ودلالته، وهي مقصورة الدلالة على أنها لا جدوى لها؛ وهو إحدى ضرورات الحياة الشاعرة المدركة ودلالتها؛ وبغير فضيلتي الشعور والإدراك لا تبقى من معاني الحياة غير الناحية البهيمية التي يترفع البشر المدرك أن يقتصر عليها. والأدب — وهو وصف الحياة الصادق — مقرون بالحياة ويحمل عليها؛ فإن كانت حياة رفيعة فهناك أدب رفيع، وإن كانت منحلة فأدب منحل؛ وفي هذه الناحية يؤيدنا التاريخ تأييداً لا يستدعي البرهان

ونمتصم بالتاريخ مرة أخرى فنراه يقول: «إن نهضة من

فنحن الآن مثلاً لا زلنا نعيش في أدب الترسل واجترار الكلام على الأصول القديمة ؛ أما في العالم فقد حدثت بعد دورنا هذا آداب جديدة : كأدب المقالة ، وأدب القصة ، وأدب الرواية ، وأدب الترجمة Biography ولن يستطيع أى مفكر وأديب كبير أن يتنبأ عن أدب العصر المقبل : ما هو ؟ وكيف سيكون ؟ وماذا يفيد ؟ وما أسلوبه ؟

علم الأدب

إننا نفهم الأدب الآن فهماً غريباً لا هو بسبيل فهم الأقدمين له ، ولا هو على شاكلة ما يعنيه النرييون ويصطلحون عليه ؛ فقد كان شأنه في القديم عظيماً ، وكان شخص الأديب عنصراً فعالاً في الحياة العامة . وحسبنا دلالة على مفهوم الأدب وفعالته في تلك العصور ومقام الأديب في الحياة الاجتماعية أن الأقدمين كانوا يمزون الأدب فيسمونه « علماً » وهم يقصدون بالعلم ما نقصد العلم به الآن بهذه التسمية فيقولون « علم الأدب » ! ويصفون الأديب بأنه عالم في علم الأدب

تطور مفهوم الأدب والصحافة

والأدب في العصر الحاضر له مفهوم تطور وترقى حتى زاد في علوه على ما كان له من المكانة في العصور القديمة ، وأصبح شأنه في الحياة العامة أعمق وأخطر مما كان عليه في العصور التي سبقت المدنية الحديثة ، وأصبح الإنسان لا يستطيع أن يتصور بلداً متمدناً من دون صحف وطباعة . وقد حاول أحد الكتاب أن يستمر في خياله عن مدينة كهذه ، فانتهى به الأمر أن وكل نتائجها إلى الجنون . فقد أصبحت الصحافة سلاحاً وكانت في بداية أمرها لا تزيد على وسيلة بسيطة لزيادة المعلومات العامة ونشر الأخبار ؛ وصارت « القصة » الفنية الأدبية وسيلة العالم في الدعوة إلى نظرية من نظرياته ، والفيلسوف إلى نشر فلسفته ، والسياسي إلى الدفاع والدعابة عن سياسته ، وغداً شخص الأديب متممكاً بأكثر مما كان يتمتع به شخص الأمير من التجلة والاحترام والتقدير والمهابة في العصور السابقة

لكي يفهم السامع أنه أمام شخص غريب الأطوار يعيش في عالم لا علاقة له بالحاضر ولا يطلب منه الاستعداد للمستقبل . وكذلك يتلقى أكثرنا كتابات الأدباء وقصائد الشعراء على أنها أقرب ما تكون إلى الآثار والماديات

وقد كان لهاتين الحالتين نتيجتان أولاهما مادية والأخرى روحية ، فالأولى أننا أصبحنا فقراء في أدبنا عالة على آداب غيرنا . فثنا من ينصرف إلى قراءة الأدب بإحدى اللغات الأجنبية إن كان يحسنها ، والذين يجهلون تلك اللغات قد تمودوا القناعة بما تصدره مصر وسورية وبقية البلاد العربية من مطبوعات وكتب . والنتيجة الروحية هي هذه الحالة التي نؤشك أن نحس بها جميعاً من القنوط من بحث أدبي لأنحس الحاجة إليه ، ويقنعنا أن نكتفي بالعيش على فيض مما تصدره جاراتنا العربيات من أدب يختص بهن ، ولا يطمئن حاجتنا الروحية أو يعبر تمام التعبير عن إحساننا الفني

أدبنا كما ينبغي أن نقرأه

الأدب كما يفهمه هذا العصر لا ينحصر — كما يعتقد الكثيرون منا من اقتصر تفاهتهم على نوع واحد من أنواعه — في القدرة على الأداء والتعبير الجميل ، بل أصبح — بفضل الطباعة والصحافة — يضم إليه أشتاتاً أخرى من فنون لم تكن في العهد القديم تقرن به ؛ وتطورت تسمياته فأصبحنا نسمع الآن « بأدب البحر » و « أدب الموسيقى » و « أدب الموقد » وما إلى ذلك من التسميات . وعهدنا نحن بالأدب أنه محصور في اللغة والبديع ، والأمالى ، والمقامات ، وما إليها . ولكل من هذه الفنون — طبعاً — أصول ليس في مكتبة الأديب أن يتعدها أو يغفل عنها ؛ ومن هنا نتج الضيق فيما نسميه نحن أدباً ويسميه الغربيون عنا Folklore بينما هم يسمون الأدب باسم آخر ولو أردنا أن نحصر مفهوم الأدب كما يذكره أيتاء العصر الحاضر لما هجرنا عن ذلك لحسب ، بل لكان عملنا — لو تم — ناقصاً في ذاته ، بالفا ما بلغ من كمال ؛ ذلك لأن المفهوم عنه لن يقف عند ما سوف نصل إلى تحديده وتعريفه ، بل سيخلق وشيكاً غيره وغيره من فنون لا نستطيع منذ الآن أن نعطي فكرة عنها

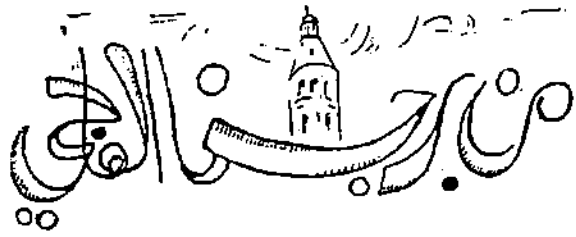
الأدب كما نراه نحن

أما ما نفهمه نحن عن الأدب فإنه ينحط إلى أقل من اللهو والمجاعة ، وبعض أساليب اللهو عندنا تستدعينا شيئاً من الجهد والهمة في إحضارها والاستعداد لها ، أما الأدب فلا نكاد نعتبره من الملامح التي نجد في الحصول عليها ، فإن حصل من تلقاء نفسه فإنه لا يكاد يمتينا إلا أن نكون نحن في حالة لهو ، أو نتلقاه على أنه صنعة لاه غير مسؤول عما يقول ، في ساعة لهو بخالية من خير أو من جد أو من متعة . وهذا نهاية ما يصل إليه سوء فهم الأدب ، وسوء تأويله ، وخطر حالة مثل هذه لا يقتصر على تشويه جمال الأدب نفسه ، بل يتعدى ذلك إلى خلق شعور المعجز والمحاكاة والتقليد الأعمى كما نرى جماع ذلك في حياتنا الأدبية الحاضرة

لقد آن لنا أن ندرك حظ الأدب ومطالبته في الحياة العامة وتأثيره في إعداد الأجيال المقبلة الذي يتفق مع ما سيحتاجون إليه من كفاءة وقدرة . ونحن مسؤولون أمام التاريخ عن إهمال الناحية الأدبية والفنية في حياتنا ، كأفراد ، وكأمة ، وكحكومة . وما دمنا نسي إلى النهوض في جميع مناحي حياتنا العامة فأخرى بنا أن نضع نصب أعيننا ضرورة اعتبار الأدب بوجه عام من أهم ما يبنى السى على إحيائه والعمل على النهوض به . ولن يستدعينا العمل لهذه الغاية ما يستدعى الحياة المادية من تضحية في النفوس والأموال والكفاءات والجهود ، بل كل ما محتاجه في هذا المضمار هو تحسين نظرنا إلى الأدب ومعناه وأثره واعتباره من الضرورات التي ينبغي أن نوحده الجهود في سبيل العناية بها في غمار ما نحن آخذون بسبيل السى إليه من نواحي الحياة الأخرى ، والكف عن اعتباره ألهية لا تستحق عنايتنا إلا بعد الاجتهاد والنصب كما تناول ألهيات الحياة وتقاهاتها . ولا نطمح في أن يصل تقديرنا هذا للأدب إلى أكثر مما وصل إليه فعلاً في أيام المنفى وأبي نواس ومن عداها وإن كان يحق لنا أن نمجدو حدو أوربا والغرب في هذا المضمار وأن يكون تقديرنا له كتقديرهم له سواء بسواء

« للحديث بقية - بغداد »

عبد الوهاب الوائلي



التجارب هي إحدى وسائل « العلم » ، ولعل ساعة « التجربة » هي أمتع لحظات « العالم » . خطر لي مرة أن أقوم بتجربة غريبة متممة : أن أضع امرأة فانتة بين إخواني الأدباء الأفاضل : العقاد وطه والمازني وأحمد أمين والزيات والبشري ؛ ثم أنظر بعد ذلك ما يكون . إنى على ثقة أنهم لن ينأوا ليتهم قبل أن يسطر كل منهم على الورق أشياء قد تكون من أجل ما كتبوا . إن المرأة الجميلة في مجلس الأديب لها فعل السحر . تستطيع بغير عصا أن تخرج جواهر البيان من أفواه الأدباء ؛ إننا لا نكاد نجد أديباً من الأدباء العظماء لم يرو لنا خبر المرأة في مجلس الأدب ؛ فإذا راجعنا الأدب العربي القديم وجدنا ذكر الجوارى اللواتي كالشموس ، الضاربات بالعود ، اللالعات بالترد ، الراويات للشعر ؛ وإذا نظرنا في آداب الغرب في كل عصر وجدنا أخبار « الصالونات » وما فيها من أقمار كلهن ذكاء وثقافة ودلال . نعم ؛ وهل يمر يوم على أديب من أدباء الغرب لا يجلس فيه إلى مائدة ترينها باقات النساء الجيلات ؟ ؛ فليتب ساعة يتحدث إلى ملكين رقيقين عن عيونه ويساره بقطر الوحي من شفقتيهما ، ثم يعود إلى عزله وكتبه وورقه ليمضي في إنتاجه الأدبي ، هذا الإنتاج الذي نراه بعد ذلك آية من آيات الإعجاز ؛ أما نحن فلا عزب بلتنا ولا غرب ، ولا شموس حولنا ولا أقمار ؛ ولكننا أدباء كالمناكب ننسج في الظلام ، ونعيش في الجذب والحرمان ؛ ومع ذلك ننتج أحياناً ، وهنا حقاً آية الإعجاز ؛ إن أولئك الذين يتهمون أدبنا الحديث بالتقصير هم قوم ظالمون أو أغرار لا يبصرون . إن أدباءنا المعاصرين لجبارة مستبسلون ، ومجاهدون مستشهدون ، لم يعرف مثلهم أدب من الآداب . فما من أدب في التاريخ استطاع أن يظهر في ظروف اجتمعت على خنقه كهذه الظروف . اللهم إنا شهداء ! اللهم إنا شهداء !

نوعية الخليفة